استئناف بياني ممهد إليه بقوله (نزل عليك الكتاب بالحق) لأن نفس السامع تتطلع إلى معرفة عاقبة الذين أنكروا هذا التنزيل .

وشمل قوله (الذين كفروا بآيات ا) المشركين واليهود والنصارى في مرتبة واحدة لأن جميعهم اشتركوا في الكفر بالقرآن وهو المراد بآيات ا هنا لأنه الكتاب الوحيد الذي يصح أن يوصف بأنه آية من آيات ا ؛ لأنه معجزة . وعبر عنهم بالوصول إيجازا ؛ لأن الصلة تجمعهم والإيماء إلى وجه بناء الخبر وهو قوله (لهم عذاب شديد) .

وعطف قوله (وا عزيز ذو انتقام) على قوله (إن الذين كفروا بآيات ا) لأنه من تكملة هذا الاستئناف : لمجيئه مجيء التبيين لشدة عذابهم ؛ إذ هو عذاب عزيز منتقم كقوله (فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) .

والعزيز تقدم عند قوله تعالى في سورة البقرة (فاعلموا أن ا عزيز حكيم) .

والانتقام : العقاب على الاعتداء بغضب ولذلك قيل للكاره : ناقم . وجيء في هذا الوصف بكلمة (ذو) الدالة على الملك للإشارة إلى أنه انتقام عن اختيار لإقامة مصالح العباد وليس هو تعالى مندفعا للانتقام بدافع الطبع أو الحنق .

(إن ا لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء [5]) استئناف يتنزل منزلة البيان لوصف الحي لأن عموم العلم يبين كمال الحياة . وجيء ب (شيء) هنا لأنه من الأسماء العامة .

وقوله (في الأرض ولا في السماء) قصد منه عموم أمكنة الأشياء فالمراد هنا من الأرض الكرة الأرضية : بما فيها من بحار والمراد بالسماء جنس السماوات : وهي العوالم المتباعدة عن الأرض . وابتدئ في الذكر بالأرض ليتسنى التدرج في العطف إلى الأبعد في الحكم ؛ لأن أشياء الأرض يعلم كثيرا منها كثير من الناس أما أشياء السماء فلا يعلم أحد بعضها فضلا عن علم جميعها .

(هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) استئناف ثان يبين شيئا من معنى القيومية فهو كبدل البعض من الكل وخص من بين شؤون القيومية تصوير البشر لأنه من أعجب مظاهر القدرة ؛ ولأن فيه تعريضا بالرد على النصارى في اعتقادهم إلهية عيسى من أجل أن ا صوره بكيفية غير معتادة فبين لهم أن الكيفيات العارضة للموجودات كلها من صنع ا وتصويره : سواء المعتاد وغير المعتاد .

و (كيف) هنا ليس فيها معنى الاستفهام بل هي دالة على مجرد معنى الكيفية ؛ أي الحالة

فهي هنا مستعملة في أصلها الموضوعة له في اللغة ؛ إذ لا ريب في أن (كيف) مشتملة على حروف مادة الكيفية والتكيف وهو الحالة والهيئة وإن كان الأكثر في الاستعمال أن تكون اسم استفهام وليست (كيف) فعلا ؛ لأنها لا دلالة فيها على الزمان ولا حرفا لاشتمالها على مادة اشتقاق . وقد تجيء (كيف) اسم شرط إذا اتصلت بها ما الزائدة وفي كل ذلك لا تفارقها الدلالة على الحالة ولا يفارقها إيلاء الجملة الفعلية إياها إلا ما شذ من قولهم : كيف أنت . فإذا كانت استفهاما فالجملة بعدها هي المستفهم عنه فتكون معمولة للفعل الذي بعدها ملتزما تقديمها عليه ؛ لأن للاستفهام الصدارة وإذا جردت عن الاستفهام كان موقعها من الإعراب على حسب ما يطلبه الكلام الواقعة هي فيه من العوامل كسائر الأسماء .

وأما الجملة التي بعدها حينئذ فالأظهر أن تعتبر مضافا إليها اسم كيف ويعتبر كيف من الأسماء الملازمة للإضافة . وجرى في كلام بعض أهل العربية أن فتحة (كيف) فتحة بناء .

والأظهر عندي أن فتحة كيف فتحة نصب لزمتها لأنها دائما متصلة بالفعل فهي معمولة له على الحالية أو نحوها فلملازمة ذلك الفتح إياها أشبهت فتحة البناء .

فكيف في قوله هنا (كيف يشاء) يعرب مفعولا مطلقا (ليصوركم) إذ التقدير : حال تصوير يشاؤها كما قاله ابن هشام في قوله تعالى (كيف فعل ربك) .

وجوز صاحب المغني أن تكون شرطية والجواب محذوف لدلالة قوله (يصوركم) عليه وهو بعيد ؛ لأنها لا تأتي في الشرط إلا مقترنة بما . وأما قول الناس (كيف شاء فعل) فلحن . وكذلك جزم الفعل بعدها قد عد لحنا عند جمهور أئمة العربية .

A E